الفصل الرابع

« أدوار المرض وسيره »

للمرض أدوار في سيره منذ التعرُّض لسببه المباشر الى نهايته. فبعض الأمراض يأتي توًّا على أثر السبب المباشر كالاصابات أو السكتة المخيـة، ولكن البعض يأتي تدريجاً؛ ومن هذا النوع أغلب الأمراض التي تنشأ عن دخول الميكروبات في الجسم. وأدوارها المختلفة تكاد تكون قريبة المشابهة بأدوار البذر الذي يزرع في الأرض. فان البذر يبتدئ في النبات داخل الأرض تدريجاً ويظهر أخيراً على سطح الأرض. وكذلك الميكروب يكون كامناً عند دخوله فيبتدئ في النموّ، أو التكاثر بالأحرى، في الجسم حتى تظهر أعراض المرض. وتسمى هـذه المدة بزمن التفريخ وهو الزمن الذي تكون فيهِ الميكروبات كامنة في الجسم آخذة في التكاثر بدون أن تظهر أعراض المرض. وهذا الزمن يختلف بحسب الأمراض، فقد يكون بضع ساعات في النزلة الوافدة، وبضعة أيام في الحمى القرمزية، وقد يصل الى سنة في الكَلَب

وان اختلف هذا الزمن كثيراً باختلاف الأمراض فهو محدود بالتقريب في أغلبها . ففي الحمى القرمزية مثلاً يتراوح بين ثلاثة أيام وستة ، ويكون في الجُدَري مثلاً ١٢ يوماً بالتقريب

وان يكن الميكروب أو السم كامناً في الجسم في هذا الزمن لعدم ظهور أعراض المرض الا انهُ يكون كالبذر آخذاً في النموّ أو التكاثر تدريجاً . فاذا ظهر العرض الأوّل للمرض فقد ابتدأ دور الهجوم أو زمن الهجوم ، وبعد زمن مختلف من دور الهجوم يظهر طفح مميز يمكن أن يشبّهه الانسان بإزهار النبات . ويظهر الطفح توًّا تقريباً بعد دور الهجوم في الجدري لكنهُ قد يتأخر بعد دور الهجوم بنحو ستة أسابيع في السفلس (التشويش)

ولنرجع الى مثال البذر ؛ فانهُ بعد أن ينبت ويظهر على سطح الأرض ويُزهر تأخذ الأزهار في الذبول وكذلك المرض فانهُ بعد أن يشتد ويتفاقم بضعة أيام أو أسابيع يأخذ في الزوال والانحطاط . ويزول المرض إمّا بغتة كالالتهاب الرئوي الفصي ، وإمّا تدريجاً كالحمى التيفودية . ففي زوال المرض بَغْتة كما في الالتهاب الرئوي تنخفض الحرارة بضع درجات انخفاضاً

سريعاً — في بضع ساعات — وتكاد تتلاشى جميع الاعراض مع هذا الانخفاض في الحرارة. ويُعرف تلاشي المرض بهذا الشكل عند الأطباء بالبحران. وكثيراً ما يصحبهُ عرض خاص كالعرق الغزير، أو الانهال، أو نومة طويلة هادئة منعشة

وفي زوال المرض تدريجاً كما في الحمى التيفودية تنخفض الحرارة تدريجاً، وتخف الأعراض تدريجاً حتى يتلاشى المرض

وبعد تلاشي المرض ينتقل العليل الى دور النقاهة، ويقال له انهُ في هذا الدور اذا برأ وكان قريب العهد بالمرض ولم يرجع اليهِ كمال صحته وقوَّتهِ. وفي هذا الدور تشتد شهوته الى الطعام تدريجاً، وتحمر وجنتاه بعد الاصفرار، وتقوى عضلاته، ويسترجع الشخص صحته، ويعود الى حالته الأصلية. ويقول بعض المرضى ان هذا الدور — دور تجدّد القوة بعد الضعف، والحياة بعد الموت — ألذّ ما يكون يكاد يُنْسيهم ما كابدوه أثناء شدة المرض من الآلام والأوجاع. وهذا صحيح لو تمّ دور النقاهة بدون طارئ يعكّر على الناقه صفوه وسروره. فقد تزول الأعراض الشديدة الاَّ واحداً أو اثنين، أو يصير العرض الحاد مزمناً، أو يَجدّ طارئ آخر بسبب

المرض الأصلي ، مما يسمى باعقاب المرض أو بقاياه ، ويستدعى الاهتمام كالالتهاب الكلوي بعد الحمى القرمزية أو أمراض القلب بعد الروماتزم

على ان الأمراض لا تسير سيراً واحداً دائماً ، ولا تضطرد هذه الأدوار بل قد يطرأ على العليل أثناء سير المرض أعراض قد تزيد في شدته ، وتغيّر من سيره ، وتهدد الحياة . فقد يحدث نزف معوي شديد في المصاب بالحمى التيفودية قبل أن يبرأ منها ، وربما كان سبباً في هلاكه ، وقد تنكسف أعراض الروماتزم وتتضاءل أمام الالتهاب الشديد في التأمور وهو وعاء القلب أو في الغشاء الذى يبطنه مما يجعل المرض مزمناً . وتسمى هذه الطوارئ بالمضاعفات . ومن المهم أن يعرف الانسان ما عساه أن يطرأ من المضاعفات في كل مرض فيعمل على اتقائها . هذا ولا ننسى ان المرض قد يكون مهلكاً فتحدث الوفاة من أسباب مختلفة أهمها انحطاط القوى الحيوية من الجوع ، وصدمة العوارض ، والسكتة القلبية ، وأمراض الرئتين ، والمخ ؛ ويمكن أن يقال ان الموت يحدث من تعطيل الجهاز العصبي أو الجهاز الدوري أو الجهاز التنفسي